مملكة الهون البيض وعلاقتها السياسية بالقوي المجاورة خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين

إعداد

د. محمد عثمان عبد الجليل
أستاذ تاريخ العصور الوسطي المساعد
كلية الآداب ــ جامعة بورسعيد

مثلت أسيا الوسطي منطقة جذب للعديد من القبائل الرعوية منذ القدم ، نظرا لتمتعها بمساحات شاسعة من النباتات العشبية ، إلي جانب السهول الفيضية الصالحة للزراعة والتي تساعد علي الاستقرار الدائم في تلك المنطقة. ورغم تعدد هذه القبائل واختلاف أجناسها ، فإنها ارتبطت ببعض القواسم المشتركة في الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية ، وهو ما أدي إلي الخلط لدي العديد من المؤرخين حول أصول وأنساب تلك القبائل ، وبخاصة القدمي منهم ، حيث أطلق عليهم المؤرخين الإغريق جميعا أسم السكثيينٍ Scythians ، بينما أطلق عليهم الفرس اسم الساكاس Sakas (١).

وإذا كان من المعروف عن الحياة البدوية الهجرات والتنقلات المتكررة ، فقد أدي ذلك إلي تنافس هذه القبائل فيما بينها ودخولها في صراعات عسكرية دموية متواصلة. وقد أسفر هذا الصراع علي تكوين كيانات ومجموعات جديدة ، وإخضاع كيانات أخري نتيجة ضعفها وعدم صمودها أمام الكيانات الأقوى .

ومما تجدر الإشارة إليه أن منطقة أسيا الوسطي شهدت أحداث ومتغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية هامة خلال فترة العصور الوسطي الباكرة . ورغم ثراء تلك الأحداث وتأثيرها علي تلك المنطقة والمناطق المجاورة لها ، فإنها لم تنال حظها الوافر من الدراسة. وتعد مملكة الهون البيض White Huns من ابرز الكيانات السياسية التي أثرت في مجري الأحداث في آسيا الوسطي في العصور الوسطي الباكرة. فقد تمكنوا من بناء وقيام مملكة قوية مترامية الأطراف شملت مناطق عدة فيما يعرف حديثا بدولة تركمينستان Turkmenistan ، طاجيكستان Tajikistan، أوزبكستان Uzbekistan ، كازاخستان Kazakhstan، وكذلك أجزاء من أفغانستان

Afghanistan ، باكستان Pakistan، الهند India ، والصين China . واستطاعت تلك المملكة خلال القرنين الخامس والسادس الميلادي إحداث تأثير هام في مجريات الأحداث التاريخية، حيث استطاعت تهديد كيان عظيم مثل الدولة الساسانية ، إلي جانب إسقاط ممالك قوية قديمة كما سيتضح خلال السطور القادمة ، واستقطاع أجزاء من الصين ، إلي جانب السيطرة لبعض من الوقت علي طريق تجارة الحرير Silk Road مما عرض مصالح الإمبراطورية البيزنطية وفارس للخطر. كما كان لها دور هام وبارز في التغير العرقي لسكان تلك المنطقة نتيجة الفتوحات والسيطرة لمدة طويلة علي هذه المنطقة ، مما أدي بدوره إلي تناسل أجيال ذات خصائص وجينات وسلوكيات مختلفة عما كانت عليه من قبل.

وما بين أول ظهور للهون البيض في منطقة ماوراء النهر وحتي منتصف القرن الرابع ، عاشت تلك القبائل في معزل عن بقية القبائل الأخري المحيطة بها ، ولم يكن نزوحهم للمنطقة دفعة واحدة ، ولكن علي فترات . وقد فضلوا في البداية الميل إلي الهدوء وعدم الصدام بأحد وبخاصة الدولة الفارسية ، والتي لم تنظر لهم في بداية الأمر نظرة عدائية مما مكنهم من الاتساع والاستقرار في مناطق كانت في الأصل أراض فارسية .وظلوا علي تلك الحالة لبعض الوقت، ثم تغيرت الصورة بعد ذلك كما سيتضح خلال السطور القادمة بعدما تمكنوا من تكوين إدارة وجيش قوي مكنهم من الظهور علي مسرح الأحداث ليساهموا بدورهم التاريخي في منطقة آسيا الوسطي.

وتهتم تلك الدراسة التي تحمل عنوان " مملكة الهون البيض وعلاقتها السياسية بالقوي المجاورة خلال القرنين الخامس والسادس الميلادي " بالتعريف بالهون البيض من حيث أصلهم ونشأتهم والآراء التي دارت حول ذلك ،وكذلك الحديث حول سياستهم الخارجية وعلاقتهم بالقوي المجاورة لهم وتأثير ذلك علي الخريطة الجغرافية لآسيا الوسطي.

وتكمن صعوبة هذا الموضوع في ندرة المصادر التي تناولت الحديث حول الهون البيض ، والتي شابها الكثير من الاختلاف والغموض في بعض الأحيان ، خاصة وأن المملكة لم تحظ بكتاب من داخلها يقومون بتدوين أحدثها التاريخية ، فجاءت الكتابات الخاصة بها من خلال وجهات نظر الاخرين. وقد اعتمد الباحث في دراسته علي المصادر المعاصرة للأحداث ، فإذا لم يجد ما يكف من المعلومات بها ، سيلجأ الباحث إلي المصادر المتأخرة زمنيا.وإذا نظرنا إلي المصادر البيزنطية المعاصرة، فرغم تعددها ،فالقليل منها الذي تناول الحديث حول الهون البيض ، كما تباين كم التناول من من مصدر لآخر. وما كتب عن الموضوع لدي المؤرخ اميانوس مارسللينوس Ammianus Marcellins صفحات قليلة، والذي اعتمد في ذلك علي رواية بعض المقيمين علي الحدود الفارسية البيزنطية دون التأكد من صحة المعلومة حول الأسم الحقيقي لهم من عدمه(٢). أما المؤرخ بروكوبيوس Procopius الذي استطاع جمع المزيد من المعلومات حول الهون البيض ، خاصة فيما يتعلق بتسميتهم وتميزهم عن بقية بني جلدتهم من الهون الذين استقر بهم المقام في القارة الأوربية ، كما تتطرق للحديث حول نظام الحكم بالمملكة وعلاقتها بالدولة الفارسية(٣).ويأتي في المرتبة الثانية المؤرخ كوزماس Cosmas الذي سمحت له طبيعة عمله كملاح أن يجوب منطقة الأحداث في آسيا الوسطي ويتعرف عن قرب علي الهون البيض في شبه القارة الهندية ، ويمدنا ببعض المعلومات الهامة حولهم رغم ندرتها الشديدة (٤). أما كل من المؤرخ بريسكوس Priscus ، وثيوفان المعترف Theophan The Confessor فقد اهتما بالعلاقة في بعض الفترات مع فارس (٥). وبالنسبة لكل من ثيوفلاكت سيموكاتا Theophylact Simocatta وميننادر الحارس Menander The Guardsman فذكر الهون البيض اقتصر علي سطور قليلة ،حيث اتفقا في التعريف بالهون البيض ، وزاد ميننادر بذكر النهاية التي لقيها الهون علي يد الترك(٦). والباحث يري أن السبب في ندرة المعلومات عن الهون البيض في المصادر البيزنطية يعود إلي عدم وجود علاقات مباشرة وتبادل السفارات بين الهون البيض والدولة البيزنطية

وبالنسبة للمصادر الهندية التي تفيد البحث بالنشط الهوني في شمال ووسط شبه القارة الهندية ، فقد تم الاعتماد علي بعض النقوش والجداريات الأثرية التي تحدثت عن أعمال بعض حكام الهون البيض والكيانات السياسية المحيطة بها ، ونتيجة تعرض أجزاء منها للتلف بفعل عوامل التعرية أو سوء التخزين لجأ الباحث إلي مجموعة من الدراسات الأثرية الحديثة لسد الثغرات التي حدثت بتلك الآثار(٧) . كما كان من المهم الاطلاع علي المصادر الصينية التي القت الضوء علي العديد من الأحداث بمملكة الهون إلي جانب التعريف بهم وبأصولهم . وقد اعتمد الباحث في ذلك علي كتابات الرحالة الصيني سونج يان Song –Yan ،إلي جانب النصوص الصينية التي قام المؤرخ انوكي Enoki بنشر أجزاء من تلك المصادر وترجمتها والتعليق عليها. هذا إلي جانب بعض المصادر السريانية والفارسية التي أفادت البحث ، خاصة فيما يتعلق بالعلاقة مع فارس(٨).

وعلي الرغم من الدور المؤثر لمملكة الهون البيض خلال تلك الفترة الزمنية في منطقة أسيا الوسطي ،فأنها لم تحظ بأي دراسة عربية علي حد علم الباحث، وبالتالي فإن البحث يعد بمثابة إضافة جديدة للمكتبة العربية . وبالنسبة للدراسات الأجنبية السابقة التي تناولت الحديث عن"الهون البيض "،فقد جاءت أخبار "الهون البيض" فيها متناثرة وليست في شكل دراسة مكتملة .ويأتي في المقدمة الدراسة التي قام بها المؤرخ انوكي " قومية الهون " ، والتي اهتمت في المقام الأول حول أصل وتسمية الهون إلي جانب الحديث حول بعض الجوانب الحضارية دون التطرق للأوضاع السياسية (٩). وسار علي نفس النهج المؤرخ دي لا فيسيري De La Vaissiere بعنوان " هل هناك قومية للأفتاليت "والتي اقتصرت أيضا حول الحديث عن الأصل والتسمية ،إلي جانب دراسته التي تحمل عنوان " الهون والخيونج نو" Huns and Xiongnu Kوهي دراسة تهتم أكثر باللغة التي كان يتحدثها الهون والتأثيرات التي دخلت عليها من عناصر أخري(١٠). وهناك دراسة للمؤرخ جيرشمان Ghirshman بعنوان " Les Chionites– Hephtalites" والتي سعي من خلالها

باستخدام المنهج الأثري في إثبات أن الافتاليت " الهون البيض" والخيونيتس عنصر واحد وليس عنصرين مختلفين (١١).وهناك ايضا دراسة المؤرخ ليتفينسكي Litvinsky بعنوان " The Hephthalite Empire" ، وغلب عليها العرض السريع للسياسة الخارجية لمملكة الهون البيض، مقابل التوسع في الجوانب الحضارية(١٢). ونفس الشئ بالنسبة للدراسة التي قام بها الباحث كوربانوف Kurbanov بعنوان " The Hephthalites" وغلب عليها الجانب الأثري والتوسع في الحديث حول الأثار الباقية من المدن وعادات وتقاليد الشعب الهوني(١٣).

ومما تجدر الإشارة إليه أن أراء المؤرخين اختلفت فيما بينهم حول أسم وأصل الهون البيض بشكل واضح ، خاصة وأن البعض يعتبر أن الهون البيض والكيداريتس Kidarites الخيونيتس Choinites كانوا يشكلون اتحاداً مشتركاً ، بينما البعض الآخر ينظر إلي أن كل منهم عنصر مستقل بذاته له أصوله المختلفة عن الآخر.

وإذا استعرضنا أراء وشهادة المؤرخين حول أسم الهون البيض ، نجد علي سبيل المثال أن المصادر البيزنطية شهدت اختلافا حول المسمي " الهون البيض " فالمؤرخ اميانوس مارسيللنوس أطلق عليهم أسم الخيونيتس ، اثناء ذكره لحصار الفرس لمدينة الرها Edessa عام ٣٦١م ، والذي تضمن مشاركتهم للفرس في هذا الحصار(١٤) .أما المؤرخ بريسكوس Priscus فيطلق عليهم الهون الكيداريتس (١٥). أما المؤرخ والملاح كوزماس والذي قام بزيارة الهند وسيرلانكا Srilanka في الفترة ما بين عامي ٥٢٥م و٥٤٧م ، فيطلق عليهم أسم " الهون البيض" White Huns(١٦)، أما المؤرخ بروكبيوس فيعرفهم بأنهم الهون والأفتاليت Hephtalites المقيمن بشمال فارس، ويزيد علي ذلك بوصفهم أنهم غير الهون الذين نعرفهم ، والذين نزحوا إلي غرب أوربا ، حيث يتميزوا ببشرتهم البيضاء، والتي لاتتضمن أي تشوهات من التي يقوم بها بني جلدتهم في الغرب ، كما أنهم يحترمون القانون ولا يعرفون الوحشية مثل أقاربهم يقصد "هون الغرب "، ويحكمهم ملك بمفرده. ويشاركه ويتفق معه في نفس الرأي المؤرخ مينانادر الحارس ، أما المؤرخ

ثيوفلاكت سيموكاتا فيطلق عليهم أسم الابديلي Abdeli ، إلي جانب الافتاليت(١٧). وبالنسبة للمؤرخ ثيوفان المعترف فيطلق عليهم أسم الهون البيض الذين يعرفون أيضا بالافتاليت(١٨).

وإذا ما انتقلنا إلي المصادر العربية والفارسية ،فإن اغالبها يتفق علي إطلاق أسم " الهياطلة " Hayatila علي "الهون البيض" (١٩). أما المصادر الصينية فقد أطلقت عليهم عدة مسميات ، فمنهم من أطلق عليهم أسم تا ييه شي Ta – Yueh – Shih ، وهناك من عرفهم بأنهم فرع من الكاو شي Kao – ch'e احفاد با هيو Pa – Hua ، وهو أسم لقائد من الهون كان معروفا لدي الصينيين. كما يطلق عليهم البعض أيضا أسم يي تا أي ليتو Ye – Ta – I – Lito (٢٠). وتعود تلك الاختلافات الخاصة بالهون البيض إلي أن علماء الصينيات لم يحددوا قواعد لنطق الحروف الصينية في المدة المقابلة لقيام كل الدول الرعوية التي قامت في آسيا الوسطي . وقد تكررت محاولة تعيين لغات بعض الشعوب في آسيا الوسطي بالاستعانة بما خلفته تلك اللغات من ألفاظ مسطورة بالحروف وكانت أول المحاولات خاصة بلغة أقدم هذه الشعوب وهم شعب الهياطلة "الهون البيض". ويضيف بارتولد أيضا أن هؤلاء العلماء كانوا يستعينون مثلا علي توضيح كلمة من كلمات الهون البيض أو غيرهم من الشعوب الرعوية، باللهجات التركية الموجودة الأن ، ولا يتساءلون إذا كانت هذه الكلمات قد وجدت بصورتها الحالية في تلك اللغة القديمة أم لا ، وبطبيعة الحال فإن تلك الاختلافات أوجدت فجوة كبيرة بين أراء المؤرخين حول أصل وموطن الهون البيض(٢١).أما المؤرخ إنوكي فيري أن التنوع والاختلاف في الآراء في حد ذاته يوضح عدم مصداقية الكلام حول هذه الهويات ، خاصة وأن أول تعارف للصينيين بمملكة الهون البيض كان في فترة متأخرة من قيام المملكة ، حوالي عام ٤٥٦م عندما قام الهون بإرسال سفارة تختص بالشأن التجاري إلي أسرة وي الشمالية Northern Wei الصينية(٢٢).

ويبدو أن اقرب المسميات " الهون البيض " ترادف معظم المعاني الأخرى فالمؤرخ جيرشمان Ghirshman يري التوافق بين الخيونيتس والأفتاليت "الهون البيض" ،أما المؤرخ كريستوفر اتود C.Atwood يري أنه لا اختلافات جوهرية في التسمية وجميعها لشعب واحد ، وهم الهون البيض. وبالنسبة لمسمي الكيداريتس فقد اطلقه بريسكوس عليهم نسبة لملكهم كيدار Kidar. هذا إلي جانب أن معظم المؤرخين البيزنطيين اعتادت علي استخدام أسم "الهون البيض ". هذا إلي جانب أن العديد من الدراسات الحديثة والتي اعتمدت سواء علي المصادر المكتوبة أو الأثرية قد التقت سويا في إطلاق مسمي "الهون البيض "،فإلي جانب المؤرخ جيرشمان الذي سبق الإشارة إلي رؤيته ، كان هناك أيضا الباحث كوربانوف A. Kurbanov الذي خلص للقول بأنهم الافتاليت "الهون البيض" بعد تقيمه وعرضه للعديد من الدراسات والاكتشافات الأثرية ، حيث يري أن الكيداريتس فصيل انشق من الخيونيتس خلال القرن الرابع الميلادي ، وتزعم الخيونيتس بعد ذلك رجل يدعي ايفتال Hephtal وفي رواية أخري ابدال Abdal وهو الذي اشتق منه أسم افتاليت ، والذي تناقلته بعد ذلك المصادر البيزنطية ليحمل المعنيين الهون البيض والأفتاليت ، وعلي الجانب الأخر اشتقت منه المصادر الشرقية أسم الهياطلة(٢٣).

وبالنسبة لأصولهم فكانت محل اختلاف ء،ففي الوقت الذي وصفتهم فيه المصادر البيزنطية بالعناصر الهونية دون الإشارة لموطن بذاته ،نجد أن المصادر الصينية تري أنهم من العناصر المنغولية التي استوطنت المنطقة المتاخمة للحدود الصينية (٢٤). وبالنسبة للكتابات الحديثة ، فقد اختلفت هي الأخرى حول أصول الهون البيض . فالبعض يري أنهم يعودون إلي أصول تركية ، بينما يري أخرون أنهم فصيل من قبيلة منغولية تعرف باسم جوان جوان Jaun Jaun دخلت لبعض الوقت في مظلة احدي القبائل الرعوية في نفس المنطقة التي كانت تعرف باسم روان روان Ruan Ruan والذي شكل فيما بعد إمبراطورية عرفت باسم خيونج نو Xiongnu ، ومكثوا بتلك المنطقة لبعض الوقت لم تحدده المصادر حتي اصطدموا مع أسرة Yueh – Chis الحاكمة

بالصين ، والتي أسفرت عن هزيمتهم مما أدي بهم إلي الاتجاه غربا ، حيث انخرطوا لفترة من الوقت مع بقية القبائل الرعوية الموجودة في منطقة السهوب . وهناك خالطوا بعض القبائل ذات الأصول الإيرانية التي أكسبتهم اللغة الإيرانية التي ظهرت بوضوح فيما بعد في مصطلحا تهم اللغوية وبعض أسماء الأشخاص والأماكن . هذا إلي جانب بعض القبائل الرعوية الأخرى التي أضفت عليهم بعض المهارات القتالية وبعض العادات الاجتماعية(٢٥). ومن ثم فإن اختلاط الهون البيض بالعديد من القبائل الرعوية في تلك المنطقة كان أحد الأسباب التي أدت إلي حدوث الاختلافات حول أصولهم لدي العديد من المؤرخين.

وبعد مرور فترة من الزمن لم تحدده المصادر أخذت تلك القبائل في التفرق والتسمي بمسميات متعددة والسير في أكثر من اتجاه والاستقرار في مناطق مختلفة ومتباعدة جغرافيا عن بعضها.ففي النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي اجتاح الفصيل الثاني من الهون منطقة بحر قزوين وانزلوا الهزيمة بكل من الآلان Alans والقوط الشرقيينOstrogoths واتجهوا إلي الغرب الأوربي، وهناك أيضا بعض القبائل التي سكنت منطقة القرم وكان الجزء الأخير الذي فضل الاستقرار في آسيا الوسطي مكونا إمبراطورية عظيمة تحت أسم الهون البيض(٢٦).

ومما يذكر أن الروايات تواترت أيضا حول وصول الهون البيض واستقرارهم في منطقة آسيا الوسطي. فنجد أول ذكر لهم لدي المؤرخ اميانوس مارسللينوس في نهاية القرن الرابع الميلادي عندما أشار إليهم بالوصول إلي منطقة الحدود الفارسية في عهد الملك شابور الثاني Shapur II(٣٨٣– ٣٨٨ م) ،واشتراكهم كمحالفين له في صراعه مع الدولة البيزنطية في حصار آمد (ديار بكر) Amid حوالي عام ٣٥٩م، والبعض الآخر يري أن وصولهم كان بعد ذلك بنصف قرن وأطلقوا عليهم اسم الكيداريتس الذين استقروا في منطقة باكتريا Bactria المتاخمة للحدود الشرقية الإيرانية ، والذين شكلوا تهديداُ متواصلاُ للحدود الفارسية (٢٧).

والباحث يري أن انتقال الهون البيض إلي منطقة آسيا الوسطي تم من خلال موجتين بشريتين ، الأولي التي تمت في نهايات القرن الرابع ، ثم كانت الموجة الثانية التي تمت مع بدايات القرن الخامس ، والتي بدأ معها تبلور شكل المملكة وعمليات الغزو والتوسع في الاتجاهات المختلفة.

والباحث يري أيضا أنه لا خلاف علي أن المسميات الثلاث السابق ذكرها هي لجنس عرقي واحد وهم "الهون البيض" لان معظم الاشتقاقات كانت من خلال الزعماء الذين حكموهم ، أو من مسامع من الآخرين مثلما الحال عند اميانوس مرسللينوس الذي أطلق عليهم هذا الاسم من خلال ما سمعه من أحد الجنود المرابطين علي الحدود للدولة البيزنطية دون التأكد من ذلك شخصيا. أما المؤرخ كوزماس فقد أطلق عليهم الهون البيض من خلال زيارته وتجواله في المنطقة أثناء وقوع الأحداث. وكان من الطبيعي أن يأخذوا بعض الوقت ما بين نزوحهم من موطنهم الأصلي في منغوليا وحتي وصولهم إلي مستقرهم في آسيا الوسطي ، والذي تطلب منهم بعد ذلك التقاط الأنفاس حتي يتمكنوا من التعرف علي المنطقة تعريفا جيداً و ترتيب أوضاعهم وبناء دولتهم وجيشهم.

وفيما يتعلق بحدود مملكة الهون وموقعها الجغرافي ، فإن تلك الحدود تعرضت لعدة تغيرات ، نظرا للعامل الزمني والسياسي ، وبحكم السنوات التي مثلت فاصلا زمنيا بين المؤرخين بعضهم البعض ، إلي جانب الصراعات السياسية التي خاضتها مع كيانات سياسية أخري عديدة.

ففي البداية كان يحدها من الغرب الدولة الفارسية ومن الشمال بعض القبائل الرعوية في خوارزم Kwarazm. ومن الجنوب والجنوب الغربي إمبراطورية جوبتا Gupta (٢٨)، ومن ناحية الغرب بعض الممالك والقبائل المغمورة في منطقة التبت Tibetan Tribes. وقد شهدت مملكة الهون

البيض تغيرات أخري خلال القرن السادس الميلادي ، حيث اتسع نطاقها الجغرافي علي حساب بعض الكيانات السياسية كما سيتضح خلال السطور القادمة، مما جعل حدودها الشمالية تصل إلي بحر ارال Aral Sea، وامتداد حدودها الجنوبية لتصل إلي أقصي جنوب الهند، علي حين الحدود الغربية لم تتسع كثيرا نظرا لقوة الممالك الصينية التي حالت دون تعمق الهون نحو الشرق كثيرا.

وكان حريا بنا التعرف علي نظام الحكم في مملكة الهون البيض في عجالة قبل التطرق إلي سياستهم الخارجية ، حيث لايمكن الحديث عن علاقة الهون البيض بالقوي الأخري دون القاء الضوء علي طبيعة نظام الحكم بها . يأتي الملك علي رأس الجهاز ، وفي البداية وحسب رواية المؤرخ بروكوبيوس كان يحكم منفردا ، ويتم اختياره في حالات السلم من خلال النخبة المختارة من قبائل الهون البيض . وتشير المصادر إلي أن الحكم في الغالب كان بالاختيار ولا يورث إلا في حالة نادرة لم تفصح المصادر عن طبيعة وخصوصية تلك الحالات . وعن طبيعة الحكم فيشير أيضا المؤرخ بروكوبيوس إلي أن مملكة الهون كانت تراعي الحق والعدل في تعاملاتها الداخلية ومع جيرانها في درجة لاتقل عن الرومان والفرس وبمرور الوقت دخلت تعديلات جديدة علي نظم الإدارة بمملكة الهون البيض ، حيث أصبح هناك وزيرا أو مستشارا له لمساعدته في إدارة الأمور بالمملكة. وكان هناك أيضا مجلس من النبلاء ، كان في الغالب ما يعقد اجتماعاته للتشاور حول الأحداث الهامة التي تمس المملكة(٢٩).

وفيما يتعلق بعلاقات مملكة الهون البيض السياسية مع القوي المجاورة ، فقد تعددت ما بين الصراع السياسي مع العديد من الكيانات السياسية المجاورة لها ، والتي كان لبعضها شأن عظيم مثل الدولة الفارسية ، وكيانات كان لها تاريخ عظيم تحطم علي يد الهون البيض ، مثل الكوشان Kushan (٣٠) وإمبراطورية جوبتا ، وعلاقات سلمية مع بعض الأسر الحاكمة في الصين . إلي

جانب أنهم كانوا محل ترقب دائم من ناحية الإمبراطورية البيزنطية ورغم عدم وجود علاقات مباشرة علي أي مستوي بينهما ، ولكن بسبب اهتمام الإمبراطورية البيزنطية بالطرق الخاصة بتجارة الحرير ، التي دخلت في حيز سيطرة الهون البيض لبعض الوقت ، وخشية أن يقوي نفوذهم للدرجة التي تمكنهم من السيطرة التامة علي الحدود الشمالية لفارس مما يمكنهم من السيطرة علي منطقة القوقاز ، وهو ما يؤدي إلي الخطر المستقبلي عي الدولة البيزنطية.

وقد اختلفت تلك السياسة حسب اختلاف درجات القوة والضعف التي عاشتها مملكة الهون خلال الحقبة الزمنية موضوع الدراسة. وقد ساهم في ذلك عدة عوامل ، أهمها الموقع الاستراتيجي الذي وفر لهم الكثير من المميزات ، أولها وفرة الموارد الطبيعية ، ثانيا التحكم في أحد أجزاء طريق تجارة الحرير مما أدار عليهم وفرة من المال اللازم لسد نفقتها الخاصة إلي توفير احتياجات المملكة من السلاح . أما العامل الثاني امتلاكها لجيش قوي يتمتع بقدرات قتالية هائلة ، والتسليح الجيد ، إلي جانب توافر الخبرات القتالية التي اكتسبوها من بعض القبائل الرعوية التي خالطوها وعايشوها خلال الفترة الممتدة من نزوحهم من موطنهم الأصلي حتي الاستقرار في آسيا الوسطي. العامل الثالث يرتبط بالجانب الأخر ويرتبط بالمشاكل الداخلية التي كانت تتعرض لها الدولة الفارسية والتي سمحت للهون البيض من التدخل في شؤونهم الداخلية ،إلي جانب صراعهم التقليدي مع بيزنطة الذي كان يتطلب من الفرس تهدئة الأوضاع علي حدودهم الشرقية لصعوبة مواجهة الخطر علي الجبهتين في وقت واحد. هذا بالإضافة لعوامل الضعف التي حلت بالكيانات السياسية المحيطة بها جنوبا وغربا.

ونشير في بداية الأمر إلي علاقة الهون البيض بالدولة الفارسية باعتبار أنهم يمثلون المحاك الأول للهون البيض ، وعلي اعتبار أن البنية التمهيدية للهون في بادئ أمرهم كانت علي حساب الأراضي الفارسية ، وما كان لذلك من تهديد دائم للحدود الشرقية لفارس . وقد تزامنت هذه العلاقة

الشائكة في كثير من مراحلها مع بداية الاستقرار الهوني علي الضفة الشرقية لنهر جيحون Amu Darya (Oxus) وتطلعهم للتوسع غربا علي حساب أملاك الدولة الفارسية.

وقد دفعت تلك الأسباب لأن يقوم الملك الفارسي شابور الثاني إلي شن عدة هجمات علي الهون البيض من أجل وقف اعتدائهم علي الحدود الفارسية. وكان الهجوم الأول ما بين عامي ٣٥٠م و ٣٥٨م ، والذي لم يسفر عن تقدم أي طرف علي الآخر . وانتهي الأمر بالصلح بين الطرفين وعقد اتفاق سلام بينهما عام ٣٥٨م ، اعترف خلالها الهون البيض بالتبعية للدولة الفارسية ، وهو ما أدي بعد ذلك إلي ظهور الهون البيض كمحالفين للفرس في حصارهم لآمد عام٣٥٩م(٣١).

وسرعان ما أنهار هذا التحالف وتجدد القتال من جديد بين الهون البيض والفرس ، وذلك بسبب رغبة الهون البيض في إلغاء تلك التبعية التي تقيد من إطماعهم في التوسع شمالا وشرقا علي حساب الأملاك الفارسية . فنشبت بينهما حربين الأولي ما بين عامي ٣٦٧م و ٣٧٠م ، والثانية ما بين عامي ٣٧٦م و ٣٧٧م . ومثل سابقها لم تسفر تلك المعارك عن نصر حاسم لأي من الطرفين . وفي النهاية مارس الفرس ضغوطا شديدة علي الهون البيض لقبول السلم مع تعويضهم ماليا ، وقد ظهرت اثار هذا السلام في انخراط أفراد من الجيش الهوني داخل الجيش الفارسي علي الحدود الشرقية(٣٢).

وتبع ذلك انتشار الهدوء علي الحدود المشتركة بين الهون البيض وفارس لعدة سنوات ، وذلك لسببين ، الأول انشغال الهون البيض باستقبال الموجة الثانية من الهجرة لبني جلدتهم ، وما يلي ذلك من تنظيم للأمور بين المقيمين والوافدين الجدد ، أما السبب الثاني فيعود إلي أن تلك الفترة زامنت حكم فارس من قبل حكام لا يميلون بطبيعتهم كثيراً إلي الحروب(٣٣).

وظلت الأمور علي ذلك حتي كسرها الهون عام ٤٢٥م ، عندما قاموا بتخطي حدود نهر جيحون وتوغلوا في الأراضي الفارسية ، وهو ما أثار حفيظة الملك الفارسي بهرام جور Bahram Gur (٤٢٠ – ٤٣٨م). وفي مفاجأة غير متوقعه قام الملك الفارسي بمهاجمة القوات الهونية أثناء الليل وهم نيام دون سابق إنذار ، فكانت الخسارة فادحة في الجانب الهوني . وتشير المصادر أنه إلي جانب عدد القتلي الكبير في صفوف الهون ، فقد لقي ملكهم مصرعه هو الآخر ، كما وقعت زوجته في الأسر . وترتب علي الهزيمة انسحاب القوات الهونية مرة أخري إلي الضفة الشرقية لنهر جيحون وهم يجرون أذيال الفشل(٣٤).

وعلي ما يبدو أن هذا الانتصار وحالة الانكسار التي أصابت الهون البيض جراء الهزيمة ومصرع ملكهم فتحت شهية الفرس ، الذين رغبوا في تأديب الهون البيض حتي لا يتجرؤوا مرة أخري بعبور نهر جيحون واختراق الأراضي الفارسية. فقام الملك الفارسي يزدجرد الثاني Yazdgard II (٤٣٨– ٤٥٧م) بشن حملات متتالية علي الهون البيض في الفترة ما بين عام ٤٤٣ إلي عام ٤٥١م . والشئ الملاحظ أن تلك الحملات باءت جميعها بالفشل ، حيث لم تغير كثيرا من الأوضاع بالنسبة للهون البيض ، حيث لم يفقدوا أراض جديدة عما كان خلال الحرب السابقة أو تضيف شروط معينة يلتزم بها الهون البيض. وقد عاد الهدوء بعض الشئ علي الحدود بين الطرفين عشية وفاة الملك الفارسي يزدجرد الثاني عام ٤٥٧م ، بسبب اشتعال المنافسة بين أبناءه علي تولي العرش خلفا لأبيهم (٣٥) .

وقد أسفر الصراع الداخلي في فارس عن تولي هرمز الثالث Harmizdas III (٤٥٧ – ٤٥٩م) للعرش ، بينما قام أخيه فيروز Peroz باللجوء إلي الهون من أجل طلب العون منهم لاستعادة العرش من أخيه.واستطاع الهون استغلال هذا الموقف خير استغلال ، فمن ناحية قبلوا عرض هرمز الثالث بتهدئة الأوضاع بينهما مقابل اتاوة مالية ، ومن ناحية أخري أخذوا في التفكير

مليا للاستفادة من الصراع بين الأشقاء الفارسيين.وبعد تردد ومشورة وجد الملك أنه من الضروري استغلال تلك الفرصة أحسن استغلال بالتدخل في الشأن الفارسي ، مما يزيد حالة الضعف في الدولة الفارسية ، مما يساعده في تحقيق أطماعه التوسعية علي حساب الدولة الفارسية. ويصف الطبري هذا الحدث بقوله " فغلب هرمز علي الملك من بعد هلاك أبيه يزدجرد ، فهرب فيروز منه ولحق ببلاد الهياطلة ، وأخبر ملكها بقصته وقصة هرمز أخيه ، وأنه أولي بالملك منه ، وسأله أن يمده بجيش يقاتل بهم هرمز". وبالفعل نجح الملك الهوني في استغلال ذلك الموقف لصالحه ، حيث تمكن من الاستيلاء علي منطقة طخارستان وهي من المناطق الإستراتيجية علي الحدود الهونية الفارسية(٣٦).

وعلي الجانب الآخر حاول هرمز الثالث القيام بعمل عسكري للحد من تجاوزات الملك الهوني سواء بالتدخل في الشأن الداخلي للدولة الفارسية ، أو بالاستيلاء علي طخارستان . غير أن محاولته باءت بالفشل بسبب رفض الإمبراطورية بإمداده بأي أموال إضافية لتنفيذ خطته، وهو ما جعل الملك هرمز يخضع في النهاية للأمر الواقع ويعقد سلام مع الهون لم تشر المصادر إلي شروطه (٣٧).

ومما تجدر الاشارة إليه أن الدعم والمساندة التي قدمها الملك الهوني لم تثن الملك الفارسي فيروز Peroz(٤٥٩ – ٤٨٤م) عن إتباع سياسة عدائية ضد الهون البيض . حيث قرر شن هجوما عسكريا عليهم بعد استعادته للعرش من أخيه.

وتختلف الروايات حول الأسباب التي دعت الملك الفارسي فيروز للهجوم علي الهون البيض ، فحسب رواية المؤرخ البيزنطي بريسكوس أن السبب يعود إلي استخفاف الملك الفارسي بالملك الهوني الذي كان يعتبر نفسه ندا للملك الفارسي . فبعدما فشل فيروز في الحصول علي معونات

إضافية من الدولة البيزنطية من أجل مساعدته في التصدي للخطر الهوني الذي صوره لبيزنطة علي أنه من الممكن في حال اختراقهم للأراضي الفارسية أن ينفذوا إلي منطقة القوقاز وهو ما يهدد المصالح البيزنطية. وبعد تلقيه الرفض من بيزنطة قرر اللجوء لعقد اتفاق سلمي لوقف التهديد الهوني المستمر للحدود الفارسية ، فأرسل للملك الهوني الذي أطلق عليه بريسكوس أسم كونشاس Kunchas ، والذي يطلق عليه المؤرخ السرياني زكريا المتليني أسم يوستاس Eustace طلبا بعقد اتفاق سلمي بينهما ، وزيادة منه في توطيد الأواصر بينهما عرض عليه الملك الفارسي الزواج من أحدي أميرات الأسرة الحاكمة علي اعتبار أنه مازال صغير السن وليس لديه بنات في سن الزواج. وما كانت تلك الفتاة سوي احدي وصيفات البلاط الفارسي التي حذرها الملك فيروز من كشف حقيقتها وإلا تعرضت للقتل. وللأسف فإنها حال وصولها لبلاد الهون اعترفت للملك الهوني بتلك الخديعة.اعتبر الملك الهوني أن ما حدث بمثابة أهانه كبيرة يجب الرد عليها بشكل قوي وفوري. فقام بإخفاء غضبه وأرسل للملك الفارسي برسالة ود ومحبة ليشكره علي هديته و يطلب منه إرسال ما يقرب من ثلاثمائة فارس من خيرة الفرسان من أجل مساعدته في حربه مع أحد جيرانه. فاستجاب له الملك لطلبه ، فقام الملك الهوني بالتنكيل بهؤلاء الفرسان فور وصولهم ، وقتل العديد منهم ، ومن تبقي منهم علي قيد الحياة قام بتشويه جسده وأرسل بهم أحياء للملك الفارسي ومعهم رسالة يوضح له فيها أن ما قام به كان رد فعل لما أحدثه من مهانة في حقه. فكان رد فعل الملك الفارسي فيروز بالاستعداد لشن حملة عسكرية ضخمة من أجل تأديب وكسر شوكة الملك الهوني ، والتي تحددها المصادر البيزنطية بعام ٤٧٤م(٣٨).

أما الرواية الثانية فيسردها كل من الطبري والثعالبي ، حيث تجاهلا الرواية السابقة ، وأشارا إلي أن جميع الملوك المحيطين بالملك الفارسي فيروز خضعوا له باستثناء الملك الهوني اخشنوار حسب رواية الطبري وخشنوار حسب رواية الثعالبي . فقرر الملك فيروز الخروج بحملة لتأديبه . وتشير المصادر إلي تعرض الملك فيروز إلي خديعة أحد أتباع الملك الهوني اخشنوار ، والتي

جعلته يقع فريسة سهلة هو وجنوده في يد الهون بدلا من الانتقام منه. حيث ألقي اخشنوار أحد رجاله في طريق فيروز ، وصور لفيروز أنه ناقم علي اخشنوار ويريد الانتقام منه، وجعله يصدق كلامه. ووصف له طريق علي أنه أسهل وايسر للهجوم علي مملكة الهون . وكانت الحقيقة غير ذلك حيث هلك الملك الفارسي ومن معه من وعورة وسوء الطريق ، مما جعله يقع فريسة سهلة في يد الهون الذين كانوا علي دراية بوصوله (٣٩). والباحث يري أن الرواية الأولي هي الأقرب للحقيقة لمعاصرة رواتها وقربهم من الأحدث إلي حد ما.

كيفما كان الأمر كان ، وقوع فيروز كفريسة سهلة في يد الهون البيض ، أن دعي في النهاية الملك اخشنوار إلي الصلح مقابل أن يمنحه الملك الفارسي حسب قول الطبري " عهد الله وميثاقه ألا يغزوهم ولا يروم أرضهم ، ولا يبعث إليهم جنداُ يقاتلونهم ، ويجعل بين مملكتهما حدا لا يجوزه". رحب الملك الهوني بهذا العرض ، فكتب له فيروز بخط يده كتابا مختوما ، وأشهد علي نفسه شهودا ، ثم خلي سبيله وانصرف إلي بلاده(٤٠). ولم تتوقف نتاج هذا الحدث علي ذلك التعهد ، حيث أن هذه هزيمة فارس أدت إلي فقدانها للعديد من أسواق الحرير التي كانت تسيطر عليها لعدم استعادة المناطق التي سبق واستولي عليها الهون البيض(٤١).

ومما يذكر أن وقع الهزيمة وتعهد الاستسلام الذي وقعه الملك فيروز كان شديد الأثر عليه ، مما جعله يغير من استراتيجة التعامل مع الهون البيض بعدما قدر قوتهم الفعلية خلال هجومه السابق ، فهم ليسوا مجرد قبائل رعوية تغير لمجرد السلب والنهب ،ولكن دولة قويمة وجيش قوي ومنظم له قدرات تكتيكية وأساليب في المكر والتمويه والخديعة والتي كانت سببا في وقوعه فريسة سهلة في أيديهم. فقرر إنشاء خط دفاعي لمواجهة الهجمات الهونية المباغتة في أي لحظة ، وهو عبارة عن سور ضخم من الصخر والطوب يبلغ طوله حوالي ١٧٠ كيلو متر يمتد من بحر قزوين إلي المناطق الجبلية المتاخمة للحدود مع الهون. ويعرف هذا السور باسم سد الاسكندر. ونظرا

لضخامة تكلفة هذا السور أرسل الملك الفارسي فيروز في طلب العون من الدولة البيزنطية التي أجابت برفضها الشديد لدفع أي أموال اضافيه للفرس ،فاضطر لتحمل نفقاته(٤٢).

ومما تجدر الإشارة إليه أن الملك الفارسي لم يكن متقبلاً لهذا الأمر داخل نفسه ، لذلك قرر الاستعداد لشن هجوما جديدا علي الأراضي الهونية عله ينجح هذه المرة في القضاء عليهم ، رغم ما لقيه من معارضة شديدة من المحيطين به ، علي اعتبار أن ذلك يمثل نقضا للعهد الذي أخذه علي نفسه. لكنه صمم في نهاية الأمر علي رأيه ، وكان فيمن نهاه عن ذلك رجل يخصه ويحتبي برأيه يقال له مزدبود . ويقول الطبري أن مزدبوذ عندما وجد فيروز مصمم علي الخروج ،كتب ما دار بينهما في صحيفة ، وسأله الختم عليها. وبالفعل خرج فيروز علي رأس جيش ضخم في حوالي عام ٤٧٥م / ٤٧٦م ، كان يضم ما يقرب من خمسمائة فيل ، حيث اتجه بقواته إلي الشرق من مدينة بلخ(٤٣).

وفور علم الملك الهوني اخشنوار بقدوم الملك فيروز تجهز وخرج له ، فلما التقي به احتج عليه اخشنوار أمام جيشه بالكتاب الذي كتبه له ، وذكره ووعظه بعهده وميثاقه . ولم يبال فيروز بذلك الأمر وزاد تصميما علي القتال . ولثاني مرة يقع الملك فيروز في فخ الخديعة الذي نصبه له الملك الهوني ، ولم يتوقف الأمر هذه المرة علي هزيمة الجيش الفارسي ، بل أن فيروز نفسه لقي مصرعه في تلك المعركة ، وأخذ اخشنوار أثقال فيروز ونساءه وأمواله ، وأصاب جنده شيئا لم يصبهم مثله قط. ونتيجة لذلك انهار الفرس وأعلنوا استسلامهم للسلام ، وهذا ما جعل الهون البيض يتحكمون في معظم أسيا الوسطي مع مطلع القرن السادس كما سيتضح خلال السطور القادمة ليصلوا بحدودهم من فارس إلي الصين ، ومن بحر ارال إلي نهر جانجز Ganges في الجنوب(٤٤).

بوفاة الملك فيروز عاد الصراع من جديد علي العرش داخل البلاط الفارسي ، حيث تنازع علي الحكم ابنيه فولاجسيس Vlagasesالمعروف لدي المصادر البيزنطية باسم بالاش Balash والابن الثاني قباذ Kavad، وتمكن بالاش من السيطرة علي الموقف وارتقاء عرش فارس خلفا لأبيه ،بينما كرر قباذ نفس السيناريو السابق بالفرار إلي الهون البيض طلباً للعون . وقد استقبله الملك الهوني استقبالاً طيباً وزجه من أحدي بناته ، وينفرد المؤرخ السرياني سمعان العمودي دون غير من المؤرخين بذكر أن هذه الزوجة كانت في نفس الوقت ابنة شقيقة قباذ التي سبق وأن وقعت في الأسر خلال الأحداث السابقة وتزوجها الملك الهوني باعتبار أنها من النبيلات(٤٥).

ولم يكن الملك الفارسي راضيا عن سياسة الملك الهوني باحتضان أخيه ، فأصدر أوامره لأحد قواده والذي كان في نفس الوقت حاكما لمقاطعة سيستان Sistan للقيام بعمل عسكري ضد الهون للثأر مما حدث لأبيه واسترداد الأراضي التي اغتصبها الملك الهوني. وبالفعل كان هذا القائد علي قدر المسئولية ، حيث تمكن من بث الرعب في نفوس الهون لأول مرة منذ فترة طويلة ، واجبره علي رد الكثير مما استولي عليه من غنائم ورد الأسري ، كما فرض عليه ضريبة مالية لمدة عامين(٤٦).

وتشير المصادر إلي أن "قباذ" ظل مقيما في حضرة الملك الهوني لمدة أربعة أعوام دون استجابة لمطلبه رغم الحفاوة التي يلقاها منه. مما دفعه لأن يلجأ إلي زوجة الملك للضغط علي زوجها من أجل الاستجابة لمطالبه بالمساعدة. وبالفعل فقد نجحت مساعي قباذ وحصل علي القوات اللازمة لاستعادة عرشه. ولكن كان للقدر كلمته ،حيث صل لمسامعه وهو في طريقه إلي بلاد فارس بموت أخيه عام ٤٨٧م ، مما جعله يستعيد العرش دون إراقة قطرة دماء، وليحكم فترته الأولي التي امتدت بين عامي ٤٨٨ إلي ٤٩٦م. وقد شهدت تلك الفترة أحداثا هامة ترتب عليها عزل قباذ وإيداعه السجن ، ولكنه تمكن من الهرب عن طريق زوجته إلي بلاد الهون مرة أخري ،

وتمكن بمساعدتهم من استعادة عرشه ليحكم الفترة الثانية من حكمه التي امتدت ما بين عامي ٤٩٨م إلي ٥٣١م. وكان المقابل الذي حصلت عليه مملكة الهون البيض جراء تلك المساعدة تقديم الملك الفارسي قباذ لبعض التنازلات الإقليمية التي لم تحدد المصادر قيمتها بالضبط ، إلي جانب التعهد بدفع جزية طويلة الأمد للهون ، وكان جزء من هذه الضريبة يضرب في دار سك فارسية ويحمل صورة وشارات الملك الهوني ، وان دل ذلك علي شئ إنما يدل علي ما تمتعت به مملكة الهون البيض من قوة ونفوذ هو ما جعل دولة عظيمة مثل الدولة الفارسية تخضع لشروطها(٤٧).

ورغم ما كان من علاقة ودية بين الهون البيض والفرس وما قدمه الملك الهوني من خدمات للملك قباذ لاستعادة عرشه ، إلا أن ذلك لم يمنع ملك الهون البيض من شنه للهجمات المعادية علي الحدود الفارسية مستغلا اشتعال الموقف بين فارس وبيزنطة ،حيث تمكن من فرض سيطرته التامة علي منطقة طخارستان وبلخ وجزء من منطقة ميرف Merv التي كانت تمثل نقطة استراتيجيه هامة بالنسبة للفرس علي حدودها الشرقية، وهو بذلك يكون قد تخطي نهر جيحون الذي كان يمثل في كثير من الأوقات حدا فاصلاً بين الهون والفرس ، ليقوم بالاستيلاء علي مساحات كبيرة من الأراضي الفارسية. وهو ما أضطر الملك الفارسي لوقف نشاطه علي الجبهة الغربية ، والانتقال بقواته إلي منطقة خراسان عام ٥٠٣م لمواجهة هذا الخطر الهوني. ويعد هذا الهجوم الهوني بمثابة أخر الهجمات الهونية الخطيرة علي الجبهة الفارسية ، وذلك بسبب انشغال الهون البيض بفتوحاتهم في وسط وجنوب الهند من ناحية ، ومن ناحية أخري انخفاض معدل القوة بالنسبة للجيش الهوني خلال السنوات التالية. ويمكن القول أن اتساع الدولة الهونية أدي إلي استهلاك واستنزاف قواها في كثير من المعارك والفتوحات ، والتي لم تقتصر علي الأراضي الفارسية ،بل امتدت لتشمل معظم آسيا الوسطي كما سيتضح في السطور القادمة والذي كان له الأثر الكبير علي مملكة الهون البيض فيما بعد ، خاصة وأنها لم تعد تستقبل وافدين جدد من

موطنهم الأصلي. كما أنهم وعلي ما يبدو لم يحبذوا انخراط العناصر المحلية في جيشهم ، إلي جانب أن المصادر لم تشر إلي استخدامهم للمرتزقة في جيوشهم أيضا. ولذلك فقد اختلفت الصورة تماما في عهد الملك الفارسي خسرو الأول Khusro I (٥٣١- ٥٧٩م) الذي تمكن من خلال تحالفه مع الترك علي توجيه ضربة قاصمة للهون البيض أدت لانهيار مملكتهم تماماً وفق ما سوف يتضح فيما بعد(٤٨).

وفيما يتعلق بعلاقة مملكة الهون البيض بالكيانات السياسية الأخرى المحيطة بها جنوبا وشرقا ، فقد جاءت متأخرة زمنيا بعض الشئ مقارنة بالحدود الغربية مع فارس. ويعود ذلك لعدة اعتبارات ، الأول انشغالهم في بداية عهدهم بتكوين الدولة الذي اضطرهم إلي خوض عدة حروب مع عدوهم التقليدي المتمثل في الفرس ، الثاني أن اكتمال قوتهم العسكرية ووصولها إلي مرحلة النضج أخذ منهم وقت غير قصير. أما العامل الثالث والذي لا يقل أهمية عن سابقيه ، تمثل في العامل الجغرافي ، فالمنطقة الوسطي والجنوبية والغربية من آسيا الوسطي تضم العديد من الجبال والأودية والمستنقعات ، وهو ما يتطلب بعض الوقت من أجل التعرف علي الطبيعة الجغرافية لهذه المناطق وأفضل السبل لعبور الأودية والدروب التي تسلكها القوات الهونية خلال شن هجماتها التوسعية، من أجل تجنب الخسائر قدر الإمكان .

وتشير المصادر إلي أن الفتوحات الهونية لشمال ووسط الهند لم تتم قبل عام ٤٧٠م ، وربما بعد ذلك بعدة سنوات. فقد أخفقوا خلال محاولتهم الأولي في عهد الملك خينجيلا Khingila ، الذي حاول الوصول بجيوشه في منتصف القرن الخامس إلي منطقة كشمير Kashmir ومنها إلي منطقة جندهارا Gandhara. ولكن تحطمت طموحاته علي يد حاكم إمبراطورية جوبتا الذي يعرف باسم سكنداجوبتا Skandagupta ، والذي تنتهي فترة حكمه تقريبا حوالي عام ٤٦٧م /

٤٦٨م . حيث تمكن هذا الإمبراطور بما كان يتمتع به من قوة طبقا لأثر جيناجاد الصخري لسكنداجوبتا Junagadh Rock Inscription of Skandagupta من هزيمة كل أعداءه بما فيهم الهون البيض ، وتمجيدا لهذه الانتصارات أطلق علي نفسه لقب " سيد المائة ملك" Lord of Hundred Kings(٤٩).

وبعد مرور فترة من الوقت تأهب الهون البيض إلي العودة من جديد لغزو إمبراطورية جوبتا بعدما دب فيها عوامل الضعف والتدهور علي يد خلفاء سكنداجوبتا ، وذلك بداية من عهد ابنه وخليفته شكراباليتا Chakrapalita ، والذي تزامن مع ازدهار القوة العسكرية للهون البيض ووصولها إلي حالة النضج.

وكانت البداية مع الملك الهوني ميهيراكولا Mihirakula ويعني باللغة الهونية "حاكم الأرض" . وكان مهيراكولا يخطط إلي مد نفوذه إلي ما وراء شمال غرب الهند ليضم المنطقة من سهول جامو – جانجيز Jammu – Janges حتي منطقة جواليور Gwalior. وقد ختم فتوحاته ببناء مدينة تحمل أسم ميهيرا بورا Mihirapura. وتشير المصادر إلي أن عهد هذا الملك شهد أوج فترات الدولة الهونية قوة واتساعاً. وعن الطريق الذي سلكه الملك الهوني للوصول إلي جندهارا روايتان ، الرواية الأولي تشير إلي أنه سلك طريقه أولا إلي الشمال الغربي خلف منطقة نجراهارا Nagarahara ، وقام في البداية بغزو زابلستان Zabulistan وكابيسا Kapisa، ومنها إلي باميان Bamiyan، ثم انتقل بعد ذلك إلي جندهارا . أما الرواية الثانية فتشير إلي أنه وصل إلي جندهارا من خلال أودية طخارستان بين جبال الهندكوش HundKush وكاراكورم Karakorum دون المرور بباميان وكابيسا وزابلستان. والباحث يري أن الملك الهوني قد سلك الطريق الأول لما يتميز به من سهولة الطريق وعدم تعرضه لأية مضايقات خلال أودية الجبال ، وكذلك تجنب الإرهاق وضمان تمويل القوات والخيول بالمؤن اللازمة(٥٠).

وواصل ميهيرا كولا مسيره بعد ذلك حتي وصل بجيوشه إلي ما يعرف حديثا بالبنجاب Punjab وكشمير وبعض المناطق المحيطة بها . ويصف المؤرخ المعاصر كوزماس تلك الانجازات بأن الملك ميهيرا كولا أصبح ملكا للهند كلها ، رغم أنه قال في نفس الوقت أن نهر فيزون Phison كان يفصل بين أملاك الهون وبقية الهند(٥١) . وتشير المصادر أنه لم يحول دون تقدم ميهيرا كولا إلي أقصي الجنوب واستمراره في عملياته التوسعية سوي أحد القواد المحليين ويدعي أوليكاراس Aulikaras عند منطقة ماندسور Mandsaur، وقد ساعده علي ذلك حالة الإرهاق التي أصابت الجيش الهوني نظرا لبعد المسافات والمعارك التي خاضها خلال تلك الفترة(٥٢).

ومما تجدر الإشارة إليه أن الفتوحات الهونية لم تقتصر علي وسط الهند ، بل امتدت أيضا إلي تركستان الشرقية Eastern Turkistan ، حيث تمكن الهون البيض في حوالي عام ٤٧٩م من السيطرة علي منطقة تورفان Turfan بالتركستان ، كما تمكنوا أيضا بعد ذلك بعدة سنوات من السيطرة علي منطقة اورمخي Urumchi ، ولم ينتهي القرن الخامس الميلادي حتي دانت لهم السيطرة التامة علي منطقة تيليتس Teleuts (٥٣).

وبعيدا عن الصراعات التي ميزت علاقة الهون البيض بالعديد من جيرانها ، فقد ارتبطوا بعلاقة طيبة مع قبائل الروران Rourans، والتي كان يتزعمها خاقان يحمل أسم شوي نو Chou–nu . وكان لقبائل الروران دور هام في مساعدة الهون البيض في السيطرة علي منطقة تيليتس ، حيث شكلوا تحالفاً ثنائياً ضد إمبراطورية ويي الشمالية الصينية Northern Wei Empire (٣٨٦– ٥٣٤م) . وكان ذلك سببا في توافد السفارات من تلك الأسرة الحاكمة إلي البلاط الهوني حتي تضمن سلامة و أمن طرق التجارة العابرة من خلال المناطق التي تسيطر عليها مملكة الهون . وبوفاة شوي نو عام ٥٢٠م انتقل الحكم إلي خاقان يدعي آه نا كوي A– na – kui، والذي واجه في بداية عهده ثورة عامه ، قادها ضده عمه براهمان Brahman الذي يعرف في

الكتابات الصينية باسم بو لو مين Po–lo men. وفي غضون ذلك اضطر آه نا كوي للفرار إلي أسرة ويي الصينية لحمايته ومساعدته في استعادة عرشه ، والشئ الملاحظ هو لجوء آه نا كوي لأسرة ويي طلبا للعون رغم سابق العلاقة الطيبة له مع الهون البيض. وقد تمكن آه نا كوي من استرداد عرشه ، وفي المقابل قام عمه بالفرار وتأسيس مملكة صغيرة حملت أسم كوكونور Kokonor، وتضامنت معه مملكة الهون البيض نكاية في ابن أخيه الذي ارتطم في أحضان أسرة ويي الشمالية.وظلت تلك العلاقة قائمة حتي وفاة برهمان عام ٥٢٤م ، ومن توحدت قبائل الروران مرة أخري تحت زعامة آه نا كوي(٥٤) .

ورغم ما حققه ميهيرا كولا من انجازات لمملكة الهون ، وما تمتع به من جسارة ، فإنه لقي هزيمة قاسية أثرت عليه وعلي المملكة كثيرا فيما بين عامي ٥٣٢م و٥٣٣م . فبعد معركة شديدة المراس سقط أسيراً في يد ياشدهارمان yashdharman حاكم ماندسور سليل أسرة اوليكاراس التي كانت تسيطر علي وسط الهند. وظل في أسره حتي توسط له الملك بالاديتيا Baladitya ملك مجدها Mgadha ، وهي أحدي الأسر التي بقيت من إمبراطورية جوبتا . وعلي ما يبدو أن توسط ذلك الملك كان بدافع التشفي والانتقام ، حيث قام فور تسلمه بوضعه في السجن بحجة اضطهاد مهيراكولا لبعض رعاياه من معتنقي البوذية Buddhist في الأراضي الخاضعة لسلطته. وظل في أسره حتي توسطت أم الملك نتيجة الضغوط التي مارسها عليها ميهيراكولا بحجة أن عرشه مهدد بالضياع بعدما قام أحد أقاربه باغتصاب عرشه بعدما علم بوقوعه بالأسر، وسوف يلتزم للملك أبنها بالتسامح مع أنصار البوذية. ورغم إطلاق سراح مهيراكولا واستعادته لعرشه مرة أخري، إلا انه سرعان ما توفي بعد ذلك بقليل(٥٥).

بحلول منتصف القرن السادس الميلادي كانت مملكة الهون البيض قد وصلت إلي أقصي مدي لها ، فقد كانت تسيطر علي مساحات كبيرة من الأراضي المحيطة بها سواء علي الحدود الغربية

المتاخمة لبلاد فارس ، أو معظم مناطق وسط وجنوب الهند وتركستان الشرقية، إلي جانب السيطرة علي بعض القبائل الرعوية الأخرى التي تشر المصادر لأسمها أو موقعها.

ومما يذكر أن نفس الفترة شهدت ظهور ونمو قوة رعوية جديدة علي الساحة لعبت هي الأخري دور هام في تاريخ آسيا الوسطي ، وكانت ذات تأثير بالغ الضراوة علي مملكة الهون البيض. وقد تمثلت تلك القوة في خاقانية الترك Turk Kaghanate (٥٥١- ٧٧٤م). وفي ظل سعي تلك القبائل لبناء مملكة جديدة والتوسع علي حساب الاخرين ، رأت ضرورة البحث عن وسيلة لتحطيم القوة العسكرية للهون البيض التي تمثل حجر العثرة في طريقها. ونظرا لعدم قدرتها علي تحقيق هذا الأمر بمفردها ، أخذت في البحث عن حليف يكن نفس العداء لمملكة الهون البيض. وبالفعل وجدت ضلتها المنشودة في الدولة الفارسية ، التي كانت تريد التخلص بأي شكل من الأشكال من هذا الكابوس الراقد علي حدودها الشرقية. فالملاحظ أن كلا الطرفين كان يبغي القضاء علي الهون البيض ، ولكن نظر لما تتمتع به مملكة الهون البيض من قدرات عسكرية هائلة ، كان يصعب علي أي منهما مواجهتها منفرداً(٥٦).

ولذلك سعي كل من الفرس والترك لنبذ كل الخلافات القائمة بينهما ، وانتهوا لعقد سلام بينهما ، كلله الملك خسرو الأول بالزواج من ابنة الخان التركي استيمي Istemi . وكان أول أجراء اتخذه الملك الفارسي خسرو الأول الامتناع عن دفع الإتاوة السنوية للهون البيض، وأخذ في تجهيز قواته تحسبا لأي رد فعل هوني(٥٧).

وعلي الجانب الآخر أخذ الملك الهوني جتفار Gatfar حذره بعدما وصلته أخبار التحالف الفارسي التركي، فمملكة الهون أصبحت بين فكي الرحى ، خاقانية الترك في الشمال والفرس في الجنوب . فقام بعقد اجتماع في بلاطه ضم معظم القادة والنبلاء فيما يشبه مجلس الحرب للتشاور

في هذا الأمر ، وما يجب اتخاذه من قرارات لمواجهة هذا التحالف المعادي للملكة. وأثناء ذلك تحدث الوزير الأول في البلاط الهوني ويدعي كاتولف Katulf مستعرضا الموقف من جوانبه ، محذرا من مبادرة الهجوم من ناحية الهون ، مفضلا انتظار المهاجمين حتي الوصول إلي الأراضي الهونية ، ومن ثم يسهل التعامل معهم بعدما يكون الإجهاد قد حل عليهم ، إلي جانب سهولة الإمداد والتموين للجيش الهوني لتواجده داخل أراضيه. ومن الواضح أنه كان يجهل التكتيك والمخطط الموضوع لهذا الهجوم ، والذي يعتمد مهاجمة الأراضي الهونية من جبهتين مختلفتين في توقيت واحد لتفتيت جهودهم وسهولة مواجهتهم . لم يقتنع الملك جفتار بهذا القول وأخذ في توبيخ كاتولف ويستهزئ برأيه ، فلم يتحمل تلك الاهانات وقام بالهروب إلي معسكر الملك الفارسي خسرو الأول ، والذي احتضنه ، وبطبيعة الحال فسوف يمده بكثير من المعلومات حول الجيش الهوني وقدراته الحالية(٥٨).

علي اية حال أخذ ت جميع الأطراف في الترقب وتوخي الحذر تحسبا لساعة الصفر التي أوشكت علي الاقتراب ، وبالفعل حانت ساعة الصفر حينما اعترض الملك الهوني جفتار سفارة تركية كانت في طريقها لبلاد فارس ، فقام بقتلهم جميعا باستثناء فرد واحد تمكن من الهرب ، وعاد لبلاده شاكيا الأمر للخاقان الذي صمم علي الهجوم بعد التنسيق مع الملك الفرسي. وأخذ الجيشان التركي والفارسي في الزحف نحو الأراضي الهونية في توقيت واحدة حوالي عام ٥٥٨م وقاموا بفرض الحصار عليها من الشمال والجنوب ، وهو ما أصاب الملك الهوني بالارتباك لعجزه عن توزيع جهوده علي الجبهتين. والشئ الملاحظ أن تأثير هذا الهجوم المشترك لم يشتت ذهن وقوات الملك الهوني فقط ، بل امتد تأثيره إلي قطع قنوات الاتصال بينه وبين ما تبقي له من قوات في وسط الهند ، وهو ما يعني في النهاية عدم تكافؤ الفرص بين الطرفين والتي سوف تميل بطبيعة الحال لصالح التحالف الفارسي التركي(٥٩).

لم يدم تفكير الملك الهوني كثيرا خاصة بعدما فشل في تلقي أي دعم من القبائل المجاورة له ومن الممالك الصينية وقرر الدخول في الحرب مهما كانت النتيجة. والغريب في الأمر أن الملك الهوني جفتار تبني خطة الوزير كاتولف الذي سبق وأهانه ، حيث فضل البقاء داخل أراضيه منتظرا قدوم جيوش الأعداء ، وعلي ما يبدو أنه حتي هذه اللحظة كان يعتقد انخراط الجيشين في جيش واحد تحت قيادة واحدة. والشئ الملاحظ أيضا أنه بينما بادر الخاقان التركي بالهجوم علي الأراضي الهونية، تلكأ الملك خسرو وأخذ في ترقب الموقف ، مفضلا مشاهدة الهون البيض والترك وهم يستنزفون قواهم . واستمر القتال بين القوات الهونية والتركية لما يقرب من ثمانية أيام كانت الغلبة في النهاية لصالح الترك ، لقي خلالها الملك الهوني جفتار مصرعه في ساحة القتال. وفور انتهاء المعركة ظهر الملك خسرو في الصورة للحصول علي نصيبه من الأراضي الهونية. ويصف الطبري تلك المعركة بقوله " وإن سنجبوا خاقان كان أمنع الترك وأشجعهم، وأعزهم جنودا ، وهو الذي قاتل وزر ملك الهياطلة ، غير خائف كثرة الهياطلة ومنعتهم ، فقتل وزر ملكها وعامة جنوده ، وغنم أموالهم واحتوي بلادهم إلا ما كان كسري غلب عليها منه"(٦٠).

ومما تجدر الأشارة إليه أن من تبقي من مملكة الهون البيض بعد تلك الهزيمة القاسية، فضلوا الاتجاه نحو الجنوب بعدما اختاروا ملكاً جديداً لهم من أصول هونية يدعي فغانيش ، حيث رغبوا في استدرار عطف الملك الفارسي خسرو ، حتي يتجنبوا بطش الترك (٦١).

وهكذا تفككت مملكة الهون البيض بعد عصر ذهبي امتد لما يزيد عن نصف قرن سادت خلاله مناطق عديدة من آسيا الوسطي ، تحطمت علي أيدهم خلالها من الممالك القديمة ، إلي جانب الرهبة التي دستها في قلوب ملوك فارس لسنوات طويلة والعديد من الأسر الحاكمة في الصين ، ولم يبقي منها إلا الشتات الذي تفرق بعد ذلك في أنحاء مختلفة من آسيا الوسطي.

ويتضح مما سبق أن التاريخ السياسي للهون البيض شهد مراحل من القوة كما شهد مراحل من الضعف ، وقد ساهمت بشكل فعال في الأحداث السياسة في منطقة آسيا الوسطي. فإلي جانب أنهم مثلوا ندا قويا لقوي عظمي مثل الدولة الفارسية وبعض الأسر الحاكمة في الصين ، كانوا موضع ترقب حذر من ناحية الدولة البيزنطية ، نظرا لتحكمهم في شريان هام من شرايين تجارة الحرير وخشية نفوذهم شمالا نحو بحر قزوين حيث منطقة القوقاز، خشية إثارة الفوضى في حالة سيطرتهم علي تلك المنطقة.

ويري الباحث أن انهيار "مملكة الهون البيض" لا يعود إلي عوامل ضعف دبت بها ، لأنها حتي هذه اللحظة كانت قوية ، ولكن كان لعنصر المفاجأة والهجوم من خلال جبهتين أثره في تشتيت قوة الهون التي لم تكن بالكثرة العديدة التي تمكنها من القتال علي جبهتين في وقت واحد ، إلي جانب عدم اعتمادها علي السكان المحليين في المناطق التي استولت عليها في القتال لعدم ثقتها فيهم.

الهوامش

(١) يعرف السكثيين لدي الفرس بالساكاس ، وهم أحد القبائل الرعوية في منطقة السهوب الأوراسية التي تنحدر من أصول إيرانية. وكان أول ظهور لهم خلال القرن الثامن قبل الميلاد علي حساب قبائل الكيمريان Cimmerians شمال البحر الأسود . وقد عاشوا في منطقة عظيمة الاتساع تمتد للجنوب والغرب من نهر الدانوب إلي الشرق والشمال الشرقي من الصحراء الصينية ، هذه المساحة المتسعة تشمل الأن أجزاء من وسط أوربا الجزء الشرقي من البلقان، أوكرانيا وشمال القوقاز ووسط آسيا وغرب الصين . وخلال القرن الثالث قبل الميلاد تواجدت قبائل السرامطة Sarmatian علي حسابهم ، حيث دفعتهم شرقا ليذوب معظمهم في سكان أوربا ، وللمزيد من المعلومات انظر :

Strabo, The Geography of Strabo, Eng ,Trans, H.L. Jones,vol.V, London, 1927, p 245; cf also, Renfrew,G., Archaeology and Language: the Puzzle of Indo – European origins, Penguin Books, 1987,p 194; Stevens,C.,The Race of Europe, New York, 1954,pp 195- 196.

(٢) Ammianus Marcellinus, The Roman History of Ammianus Marcellinus, Eng ,Trans Yonge,C.,D., London, 1894,p99.

(٣) Procopius of Caesarea,History of The Wars,Book I, Eng ,Trans, H.B. Dewing,London,1992,pp 13- 15.

(٤) The Christian Topography of Cosmas, an Egyptain Monk,Edit by, J.W.McCrindle, Cambridge,2010,p 370.

(5)Priscus, in: The Fragmentary Classicising Histotrians of the Later Roman Empire: Eunapius, Olympiodorus, Priscus and Malchus,trans.Blokley,R.C.,Liverpool, 1983,(pp223-400),p 347;

Theophanes Confessor:The The Chronicle of Byzantine and Near Eastern History A.D.280-318, trans. C.mango and R.Scort,Oxford,1977,pp 188- 189.

(٦) ; Menander Protector, History of The Menander The Gurdsman, eng trans, Blockley, R.C., Liverpool, 1985,p47;

Theophylact of Simocatta,The History of Theophylact of Simocatta, Eng ,Trans,M.& M.Whitby,Oxford,1986.p 188 .

(٧) راجع الباحث لمجموعة النقوش المنشورة في :

, Fleet,John F, Courpus Inscriptionum Indicarum: Inscriptions of the Early Gupta, vol. III. Calcutta : Gevornment Of India, Central Publication Branch, 1888.

(٨) Sung-Yun: “Voyage de Song-yun dans l’Udyana et la Gandhara” par. E.Chavannes,Bulletin de l'Ecole Francais d'Extreme-Orient,Vol.3.N.1,(pp 379- 441); Enoki, K., On the Nationality of the

Ephthalites, Memoirs of the Research department of the Toyo Banko (the Oriental Library) No.18, 1959,pp 1-58.

Ibid. (٩)

De La Vaissiere,E., Is There a " Nationality of the Hephthalites, (١٠)

Bulletin of the Asia Institute, vol. 17, 2003, pp199- 132; De La Vaissiere,E., Huns and Xiongnu, New Thought on an Old Problem,in Central Asiatic Journal,49(2005),pp3- 26.

Ghirshmn, R., Les Chionites – Hephtalites, Le Caire, 1948. (١١)

Litvinsky,B,A., The Hephthalite Empire, In History of civilization of (١٢) Centeral Asia,: A D 250 – 750, Edit by, Litvinsky,B,A., and Zhang Guang – da, Unesco Publishing, Paris, 1996,(pp 138 – 165).

Kurbanov,A., The Hephthalites : Archaeolgical and Historical (١٣) Analysis, ph D thesis, the Free University, Berline, 2010.

Ammianus op cit, p 99. (١٤)

Marcellinus,

The Christian Topography of Cosmas , p 370. (١٥)

(١٦) Procopius, op cit, p 13.

(١٧) Menander The Guardsman, op cit, p 47; Theophylact of Simocatta, op cit, p 188.

(١٨) Theophanes Confessor, op cit, pp 188- 189.

(١٩) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبوالفضل ، الطبعة الثانية ، القاهرة ،١٩٦٨، جـ ٢ ، ص ٨١؛ الثعالبي (أبو منصور عبدالله بن محمد بن إسماعيل) نشر زوتنبرج ، باريس ، ١٩٠٠، ص ٤٩٩؛الفردوسي (أبو القاسم) الشهنامة ، ترجمة الفتح بن علي البنداري ، تحقيق د. عبدالوهاب عزام ، القاهرة ١٩٩٣، جـ ٢ ، ص ١١٧؛ أنظر ايضا:حسن برانيا ، عباس أقبال ، تاريخ إيران ، آز أغاراتا ، انتشارات خيام ، تهران ،١٣٧٦ هـ.ش ،ص ٥٨٤ ؛ دكتر محمد معين ، فرهنك فارس ، جلد شمشم (اعلام) غ-ي ،مؤسسة انتشارات امير كبير ، تهران ، ١٣٧٥ هز ش ، ص ٢٣١٥ – ٢٣١٦.

(٢٠) Sung-Yun,op cit,pp 40-403; Litvinsky, op cit, p 138; Sen,S, N., Ancient Indian History and Civilization, New Delhi,1999,p 220. De La Vaissiere,op cit, pp 199 – 120.

(٢١) بارتولد .و : تاريخ الترك في آسيا الوسطي ، ترجمة د. أحمد السعيد سليمان ، القاهرة ،

١٩٩٦ ، ص ٣٥، ص ٣٩.

(٢٢) Enoki, op cit , pp 1 -3.

(٢٣) Atwood,C., Huns and Xiongnu : New Thoughts On an old problem, in Dubitando : Studies in History and Culture in Honor of Donald Ostrowski, Eidet by Brian J. Boek, Russell e. Martin, and Daniel Rowland, in Slavica publishers, 2012,(pp 27 -52), pp 46- 47;Kurbanov,A., The Hephthalites, 2010, p 32.

(٢٤) Procopius of Caesarea, op cit, p 13, Theophanes Confessor, op cit,pp 188- 189; Sung-Yun,op cit,pp 405-406; cf also, Lung, R., Interpreters in Early Imperial China, John Benjamins Publishing, U S A, 2011, p25.

(٢٥) كان من أهم القبائل التي احتكوا واستفادوا منها خلال رحلتهم من الموطن الأصلي إلي وسط آسيا قبائل المساجتين Massagatae والسرامطة ، انظر:

Kurbanov, The Hephthalites , p 23,p 207.

(٢٦) من أهم القبائل سكنت منطقة القرم قبيلتي الكوتريجور Kotrigurs ، والأتيجور Utigur. ولمزيد من المعلومات ، انظر :

Azzaroli,A., An Early History of Horsemanship,Leiden, 1985, pp96-97.

وبالنسبة لقبائل الهون التي سكنت أوربا، وشكلت تهديدا لفترات طويلة للدولة البيزنطية ، انظر:

Otto John Manchen- Helfen, World Of Huns, ed by,Max Knight, Lodon,1973.

راجع ايضا :

محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي "عصر جوستنيان" ، القاهرة ،١٩٨٩،ص ١٨٣- ١٨٦.

(٢٧) شهد هذا الحصار مصرع ابن ملك الهون البيض جرومباتيس Grumbates ، وسرد خلاله المؤرخ اميانوس طقوس الدفن المتبعة عند الهون البيض ، والتي يتم خلالها حرق عدد من الأتباع المخلصين مع من يموت من الأسرة المالكة ،ثم تتم طقوس الدفن بعد ذلك ، ولمزيد من المعلومات انظر :

Ammianus Marcellinus, op cit, pp 185-187; cf also; Nicolle,D., Sassanian Armies, Montvert Publication, Yorkshire,1996,p45.

(٢٨) تعد إمبراطورية جوبتا من الإمبراطوريات القديمة في الهند ويعود تأسيسها إلي المهرجا سري جوبتا Sri Gupta . وأصبحت أسرة جوبتا على درجة من التقدم إبَّان عهد تشاندرا جبتا الأول (٣٢٠-٣٣٥م) الذي سُكّت النقود في عهده. وكان ابنه سامودرا جوبتا(٣٣٥-٣٧٥م) واحدًا من أفضل الأباطرة الفاتحين في الهند القديمة. وتوسعت إمبراطورية جبتا من شمالي الهند حتى أقصى الجنوب ، وظلت علي قوتها ، حتي أصبها الضعف وسقطت علي يد الهون البيض في نهايات القرن الخامس الميلادي. انظر:

Agrawal,A., Rise and Fall of the Imperial Guptas , Madras, 1989, pp79-89, pp 90-102; Sharma,T,R., A political History of the Imperial Guptas : From Gupta to Skandagupta, New Delhi, 1989, 61.

(٢٩) Procopius of Caesarea , op cit , p 15.

(٣٠) تأسست إمبراطورية كوشان بدايةً في أوائل القرن الأول الميلادي تحت قيادة رجل يدعي هيرايوس Heraios في أراضي بكتريا القديمة حول نهر جيحون وتمركزت فيما بعد بالقرب من كابول، أفغانستان. وتعست إمبراطورية كوشان بعد هزيمتها لعد من قبائل آسيا الوسطي التي غزت من قبل الأجزاءً الشمالية الوسطي من الهضبة الإيرانية والتي كان يحكمها البارثيون قديمًا .وكانت تعتنق البوذية ثم استولي عليها فارس مرة أخري حتي سقطت بعد ذلك في أيدي الهون البيض. ولمزيد من المعلومات انظر :

Runion,M., The History of A Fghanistan, Green Publishing Group, U S A, 2007,pp47-48; Behnke,A., A Fghanistan in Pictures, Twenty – First Century Books, U S A,2003, p 20.

(٣١) Ammianus Marcellinus, op cit, p 185; cf also ,Daniel,E., The History of Iran, ABC- Clio, U S A,2012,p 59, Garthwaite, G,R., The Persian, John Wiley & Sons, U S A, 2008, p 103.

(٣٢) Kurbanov , op cit, p 138; Ghirshman, op cit, p 82.

راجع ايضا :

حسن برانيا ، المرجع السابق ،ص ٥٨١-٥٨٢.

(٣٣) Sykes, History of Persia, Lodon , 1921, vol .I p 428.

(٣٤) Priscus,op cit,p 337.

لمزيد من التفاصيل حول الأراء التي دارت حول تلك المعركة ، انظر:
حسن برانيا ، المرجع السابق ، ص ٥٩٣ – ٥٩٤، دكتر محمد معين ، المرجع السابق ، ص٣٠٣.

(٣٥) يصف الثعالبي هذا الانتصار قائلاً " وغزا الهياطلة (يقصد يزدجرد الثاني) وقهرهم والزمهم الضريبة ونصب علي حدهم صخرة لا يتجاوزونها". انظر
الثعالبي ، المصدر السابق ،ص ٤٩٩.

(٣٦) الطبري ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص٨٢.

(٣٧) Priscus,op cit, p 347.

(٣٨) Priscus, op cit, p 349 ,Zacharia of Mitylene, The Syriac Chronicle Eng Trans, J.Hamilton & E.Brooks, London, 1899,p152.

(٣٩) الطبري : المصدر السابق ، ص ٨٤ ؛ الثعالبي ، المصدر السابق ، ص ٥٧٨.

(٤٠) الطبري : المصدر السابق ، ص ٨٤ .

(٤١) هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الادني في العصور الوسطي ، ترجمة عز الدين فودة ،القاهرة ، ١٩٨٥ ، جـ ١ ، ص ١٦.

(٤٢) يعرف هذا السد بالتركية الافعي الحمراء Red Snake ، انظر :

Nicolle, op cit, p 47.

(٤٣) الطبري ، المصدر السابق ، ص ٨٥ ؛ راجع ايضا:

T heophanes Confessor , op cit, pp 189 – 190.

(٤٤) الطبري ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٨٥.

يعلق ميخائيل السرياني علي تلك المعركة أن السبب فيها يعود إلي عدم قناعة الهون بقيمة الجزية التي تدفعها لهم فارس مقارنة بما يدفعونه للبيزنطيين ، كما أوضح أيضا هذه الهزيمة كانت سببا لأن يعاود خلفاء فيروز نشاطهم ضد البيزنطيين ، انظر:

ميخائيل السرياني ، تاريخ ما ميخائيل السرياني الكبير، ترجمة مر جريجوريوس صليبا شمعون ، حلب ١٩٩٦، جـ ١، ص ٣٣. ويضيف المؤرخ بروكوبيوس معلومة حول ذلك الحدث أن الحلق الذي كان يتحلي به الملك فيروز سقط في الوادي عشية مصرعه ، وقد عرضت الدولة البيزنطية علي الملك الهوني شراء هذا الحلي بأي ثمن في حالة العثور عليه . ولكن الإجابة كانت بالرفض ، ويضيف بروكوبيوس أيضا أن الملك الهوني عثر بعد ذلك علي الحلي وقام ببيعه للملك الفارسي قباذ ، انظر :

Procopius of Caesarea, op cit, pp 25 – 26.

(٤٥) Joshua The Style, The Chronicle of Joshua the Style, Eng Trans, W.Wright, Cambridge, 1882,p 15.

(٤٦) يطلق عليه الطبري أسم سوخرا ، انظر :

الطبري ، المصدر السابق ، ص ٨٧ – ٨٨ .

يعلق الفردوسي علي هذا الحدث قائلاً "و نحن نردعليكم (علي لسان اخشنوار) جميع ما غنمناه في وقعة فيروز مع جميع المأسورين فنرجع إلي العادة الحسني والطريقة المثلي ، ويكون ما دون جيحون لكم وما وراءه لنا" ، انظر :

الفردوسي ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١١٢.

(٤٧) Theophanes Confessor , op cit, p190, Litvinsky,op cit, p 143.

راجع ايضا :

الطبري ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٩٠ – ٩١؛ الفردوسي ، المصدر السابق،ص ١١٨ .

(٤٨) Sykes , op cit, p 443.

(49) Junagadh Rock Inscription of Skandagupta, in: Fleet,John F,

Courpus Inscriptionum Indicarum: Inscriptions of the Early Gupta, vol. III. Calcutta : Gevrnment Of India, Central Publication Branch, 1888, 61- 56, Line 2.

(٥٠) Gwalior Stone Inscription Of Mihirakula (ca. early 6th Century C E) in, Fleet,John F, Courpus Inscriptionum Indicarum: Inscriptions of the Early Gupta, vol. III. Calcutta : Gevrnment Of India, Central Publication Branch, 1888, 163 – 164,line 2, 3,4.

(٥١) Cosmas, op cit, pp 270 – 271.

(٥٢) Bhitari Pillar Inscription of Skandagupta,in, , Fleet,John F, Courpus Inscriptionum Indicarum: Inscriptions of the Early Gupta, vol. III. Calcutta : Gevrnment Of India, Central Publication Branch, 1888,54-56, Line 15.

(٥٣) Kurbanov, op cit, p 182,Sagar, op cit , p 216.

(٥٤) Mandasor Inscription of Kumaragupta and Banhuvarman ,in, Fleet,John F, Courpus Inscriptionum Indicarum: Inscriptions of the Early Gupta, vol. III. Calcutta : Gevrnment Of India, Central Publication Branch,

1888,84 -88. Line 8, cf also, Kurbanov, op cit, p 183, Sagar, op cit, pp 216 - 217

(٥٥) Litvinsky, op cit,p 145, Sagar,K,C.,Foreiner Influence on Ancient India, New Delhi, 1992,pp 215- 216.

(٥٦) تشير المصادر إلي أن ظهور لقبائل الترك كان في حوالي منتصف القرن الأول الميلادي شمال بحر ازوف ، ويعود البعض بأصولهم إلي قبائل هو سينج نو Huising nu . وقد تمكنوا بقيادة زعيمهم بومين Bumin من إنهاء تبعيتهم لقبائل الروان بعد هزيمتهم عام ٥٥١م. وبعد ذلك كان ظهورهم واضح في آسيا الوسطي وكانوا محل استقطاب كل من الهون البيض والفرس والدولة البيزنطية. وتمكنوا من خلال التحالف مع الفرس من القضاء علي الهون البيض ، ثم حدث نوع من التقارب بعد ذلك مع بيزنطة علي حساب الفرس . ولمزيد من المعلومات ، انظر:

Menander Protector, op cit,p 47, cf also, Sinor,D., The establishment and dissolution of the turk Empire,in, The Cambridge History of Early Inner Asia,Edite by, Dines Sinor, Cambridge, 1990,pp 285 – 312.

(٥٧) Sinor, op cit, p 301.

(٥٨) Kurbanov, op cit, p 186.

(٥٩) Sagar, op cit, pp 219 – 220.

يصف الفردوسي هذا الحدث بقوله " وكتب (المقصود خاقان الترك) إلي كسري كتابا علي الحرير الصيني. فسار الرسول ، وكان ممره علي بلاد الهياطلة . وكان ملك يسمي غاتفر..... والرأي أن نقطع الطريق علي هذا الرسول فنقتله وننتهب ما صحبه" انظر الفردوسي ، المصدر السابق ، ص ١٤١.

(٦٠) الطبري ، المصدر السابق ، جـ ٢، ص ١٠٠. ويضيف الفردوسي قائلا " إنا لم نر مثل عساكر الصين . كأنهم ليسوا من الأنس بل كأنهم مردة الشياطين. وكأن وجوههم وجوه الثعابين . تمرق سهامهم الجبال ، ولا يملون ابدا من القتال" انظر الفردوسي ، المصدر السابق ، ص ١٤١.

(٦١) الفردوسي ، المصدر السابق ، ص ١٤١.

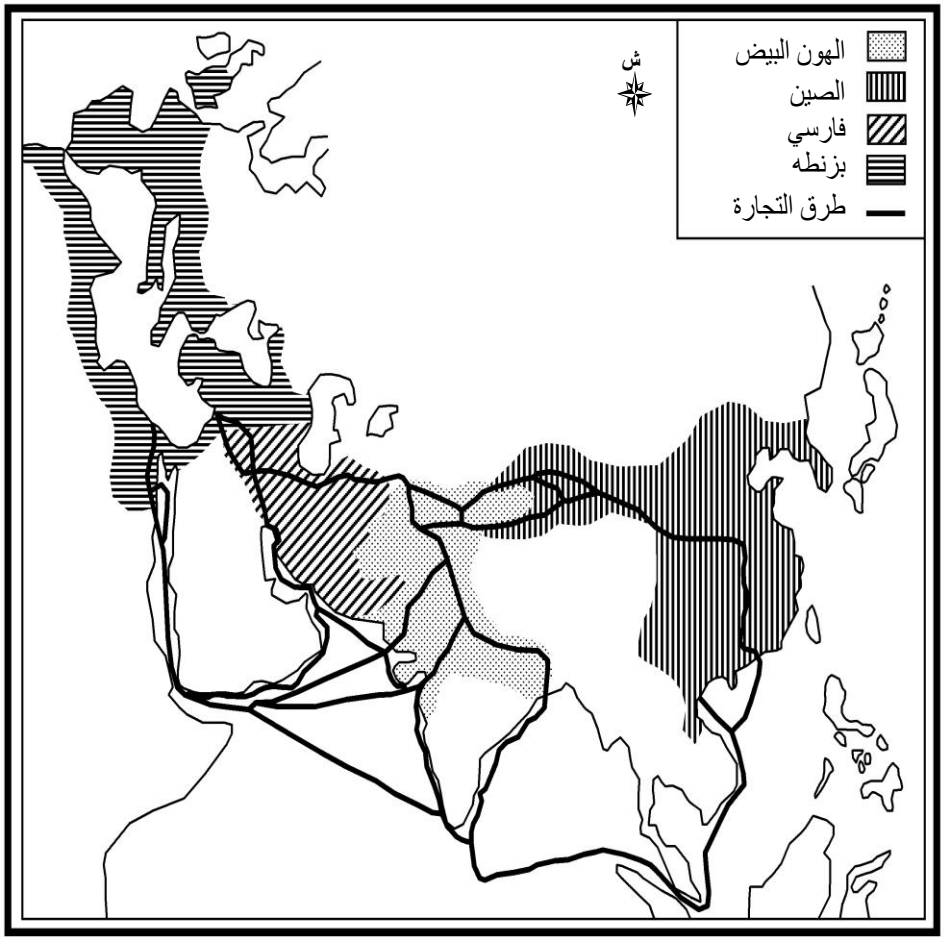

شكل (2) مملكة الهون البيض وطرق التجارة خلال القرن الخامس والسادس الميلاديين

نقلا عن :

Amin, Hamiddullah (1967) The role of communication in the development of Afghanistan,Thesis of Degree of M.A, University of Drham, 1967.

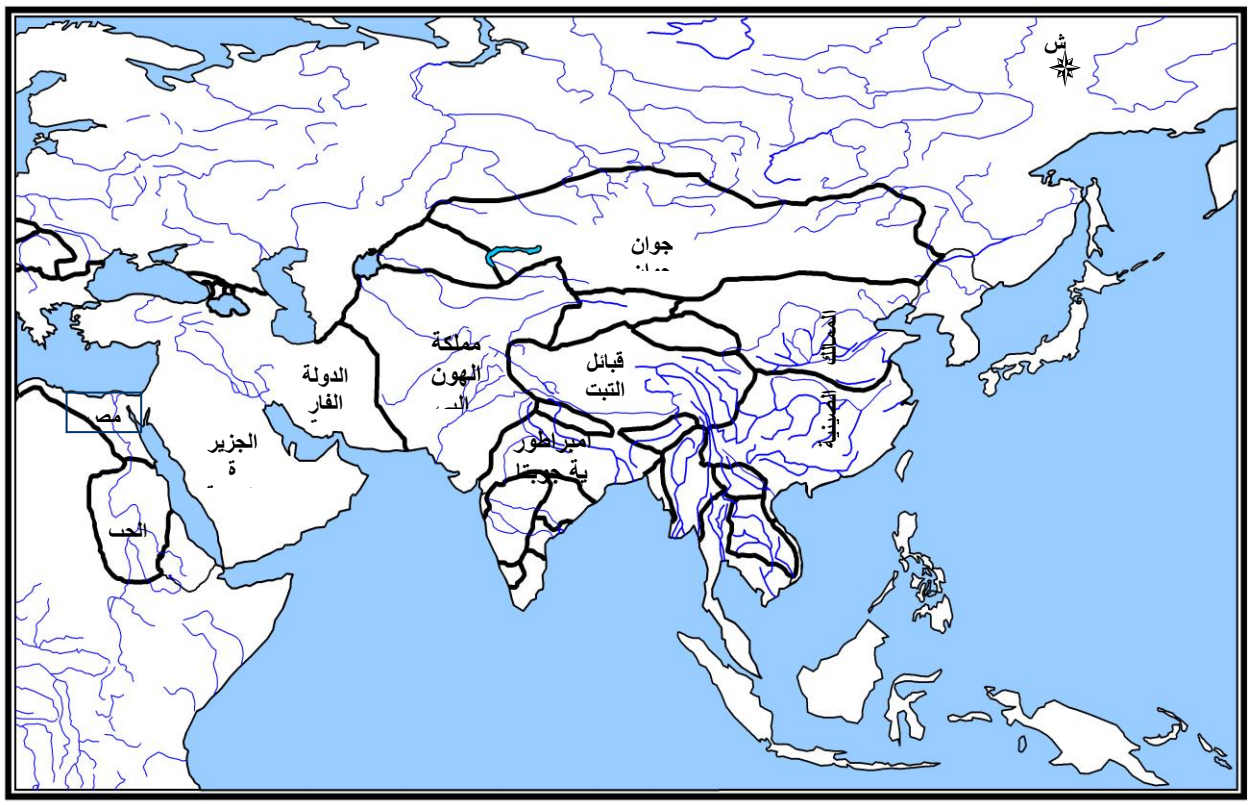

المصدر : http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Asia_500ad.jpg

شكل (1) خريطة توضح حدود مملكة الهون البيض والكيانات السياسية المجاورة لها